مقدمة(*)

التاريخ هو معمل الباحث السياسي. هكذا سمعت من أ.د.حامد ربيع (رحمه الله) وتعلمت عليه منذ مرحلة البكالوريوس.

(1)

وحين درست تاريخ العلاقات الدولية في سنوات ما قبل التخرج، كان تاريخنا العربي الإسلامي هو الغائب الحاضر - في أدبيات العلم الغربية - فإما غياب كامل وإما استدعاء لتاريخ تنافس القوى الاستعمارية على احتلالنا.

وحين بدأت التحصيل والمراكمة في مجال نظرية العلاقات الدولية في مرحلة الدراسات العليا وما بعد الدكتوراه تأكدَت لي بالتدريج انطباعاتي الأولية وعلى أكثر من مستوى: فحين استدعى منظروا النظم الدولية الخبرات التاريخية لتطور النظم لم يكن من بينها خبرات التاريخ الإسلامي. ومن كان يعي منهم ذلك الإسقاط مثل مارسيل مارل (على سبيل المثال) فلقد برره في مقدمة كتابه سوسيولوچيا العلاقات الدولية، كالتالي: «... لما كان من المستحيل أن نحيط بالتاريخ الإنساني في لمحة بصر... فقد يكون من الأفضل اختيار لحظة بداية تشكل العالم الحديث، وهي اللحظة التي تتطابق مع مولد المجتمعات التي أضحت الدولة المعاصرة وريثها المباشر، كنقطة انطلاق. ومن المؤكد أن اختيار القرن السادس عشر ينطوي على بعض التحكم من حيث الزمان أو المكان... وعلى خبراء الحضارات الأخرى أن

(*) خالص شكري للأستاذة شيماء بهاء الدين الباحثة بمركز الحضارة للدراسات السياسية على المساعدة في إعداد هذا الكتاب للنشر.

ينبروا لعقد المقارنات المطلوبة...»[1].

وحين اجتاحت مناطق العالم الإسلامي، بعد نهاية الحرب الباردة موجات الحروب الأهلية سواء في القوقاز أو آسيا الوسطى أو البلقان، كان استدعاء التاريخ ضرورة لا غنى عنها لفهم أبعاد الحلقة الراهنة من إعادة رسم خرائط هذه المناطق وإعادة تشكيل توازناتها الإقليمية وأنماط التدخلات الخارجية فيها. بل كان استدعاء هذا التاريخ ضرورة للتعرف على وجود «المسلمين المنسيين» في هذه المناطق من العالم الإسلامي، بعد أن تحولوا إلى أقليات مسلمة.

وفي حينها كنت قد انخرطت منذ 1986 في الإشراف على إعداد مشروع العلاقات الدولية في الإسلام (1986 - 1996)[2]. حيث تأكد لي أن التنظير

(1) مارسيل مارل: سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة: د.حسن نافعة،: دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986، ص 23 - 24.

(2) صدرت أعمال مشروع العلاقات الدولية في الإسلام في موسوعة مكونة من اثني عشر جزءًا تحت عنوان: مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مجموعة باحثين، د.نادية محمود مصطفى (إشراف عام ورئيس الفريق)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

1. د.نادية محمود مصطفى: المقدمة العامة للمشروع، الجزء الأول من المشروع.
2. د.سيف الدين عبد الفتاح: مدخل القيم إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الثاني من المشروع.
3. د.أحمد عبد الونيس: د.سيف الدين عبد الفتاح، ود.عبد العزيز صقر، المداخل المنهاجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الثالث من المشروع.
4. د.مصطفى منجود: الدولة الإسلامية وحدة التعامل الخارجي في الإسلام، الجزء الرابع من المشروع.
5. د.أحمد عبد الونيس: الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم، الجزء الخامس من المشروع.
6. د.عبد العزيز صقر: العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب: دراسة للقواعد المنظمة لسير القتال، الجزء السادس من المشروع.
7. د.نادية محمود مصطفى: مدخل منهاجي لدراسة تطور وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي، الجزء السابع من المشروع.

الدولي الغربي في مجمله يسقط خبرة التاريخ الإسلامي في حين لا يمكن أن نسقط نحن الخبرة التاريخية الحضارية لأمتنا. ولذا كان «التاريخ الإسلامي» جزأ رئيسًا من هذا المشروع (منهاجية ومحتوى)[1].

وكان المشروع بمثابة البنية التحتية لبناء منظور حضاري إسلامي مقارن في علم العلاقات الدولية[2].

ويقوم بناء هذا المنظور على ثلاثة مستويات من المصادر: مصادر تأسيسية وهي الأصول الثابتة والاتجاهات الفقهية المتغيرة ومنظومات القيم التأسيسية والفرعية، مصادر بنائية مكملة استنادًا إلى خبرات تراث الممارسة والحركة عبر

8. د.علا أبو زيد: الدولة الأموية... دولة الفتوحات)41 - 132هـ 661 - 750م(من استئناف الدولة الأموية القوى والمؤثر لحركة فتوحات الراشدين إلى بلوغ المد الفتحي حدوده الطبيعية في المشرق والمغرب، الجزء الثامن من المشروع.

9. د.علا أبو زيد: الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح إلى السقوط)132 - 656هـ 750 - 1258م(، الجزء التاسع من المشروع.

10. د.نادية مصطفى: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية)642 - 923هـ 1258 - 1517م(، الجزء العاشر من المشروع.

11. د.نادية مصطفى: العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، الجزء الحادي عشر من المشروع.

12. د.ودودة بدران: وضع الدول الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة (1924 - 1991)، الجزء الثاني عشر من المشروع.

(1) د.نادية محمود مصطفى: مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي، (في): د.نادية محمود مصطفى (إشراف)، مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق.

(2) د.نادية محمود مصطفى: إشكاليات البحث والتدريس في علم العلاقات الدولية من منظور حضاري مقارن، بحث مقدم إلى مؤتمر «حوار الحضارات والمسارات المتنوعة للمعرفة (المؤتمر الثاني للتحيز(" فبراير 2007، جامعة القاهرة: برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد.
ونشر مزيدا ومنقحًا (في): أحمد فؤاد باشا وآخرون: المنهجية الإسلامية (الجزء الثاني)، مركز الدراسات المعرفية القاهرة، دار السلام، 2010.

عصور التاريخ الإسلامي المتتالية، وأخيرًا مصادر بنائية أخرى تستند إلى التراث الفكري اللازم لدراسة العلاقة بين قضايا ثلاث رئيسية في تاريخ المسلمين: الوحدة، الجهاد، الإصلاح. وتساعد هذه المصادر البنائية الفكرية والتاريخية على تفسير ما آلت إليه الفجوة بين الأصول وبين الواقع (التاريخي والراهن).

والعلاقة بين المصادر الثلاثة عضوية لأنها تقدم منظومة الرؤية النسقية، خبرات الممارسة، منظومات القيم وأنماط الاستجابات للتغيرات في وضع الأمة والتحديات التي واجهتها عبر تاريخ تطورها السياسي العسكري والاقتصادي... داخليًا وخارجيًا، أي إجمالاً التحديات الحضارية. ومن هنا يبرز المقصود بالحضاري: تجاوز الثنائيات بين مصادر التنظير وتجاوز الحدود الفاصلة بين العلوم وبين الداخل والخارج وبين أوجه الظاهرة المتعددة (سياسي...اقتصادي) وبين الفواعل الرسمية وغير الرسمية، بين الجزأ والكل، وبين القيم والمصالح بين المادي وغير المادي[1].

وهكذا تعاقبت -عبر عقود ثلاثة - محفزات اهتمامي النظرية والعملية ببعدين أساسيين:

أولهما موضع التاريخ الإسلامي الدولي والفكر الإسلامي الدولي من تأسيس منظور حضاري إسلامي للعلاقات الدولية مقارنة بمنظورات العلم الأخرى، في نطاق مشروع العلاقات الدولية في الإسلام[2].

والبعد الثاني هو فهم الصراعات الداخلية والإقليمية المشتعلة عبر أرجاء

(1) د.نادية محمود مصطفى: العلاقات الدولية في الإسلام: نحو تأصيل من منظور الفقه الحضاري، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/ 134)، 2009، ص ص121 - 190.

(2) انظر دوافع وأهداف ومستويات هذا المشروع الثلاثة (الأصول، التاريخ، الفكر) في:

- د.نادية محمود مصطفى: مقدمة مشروع العلاقات الدولية في الإسلام: الأهداف، الدوافع، المنطلقات، (في): د.نادية محمود مصطفى (إشراف): المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق. الجزء الأول.

العالم العربي والإسلامي، وجميعها ذات جذور تاريخية وذات أبعاد دينية وثقافية ومذهبية إلى جانب الأبعاد الاستراتيجية الأخرى (حسابات المصالح المادية). ومن ثم، فإن الأنماط والنماذج التاريخية المستخلصة من دراسة التاريخ إنما تساعد على تعميق فهم تطور وضع هذه الصراعات في سياق تطور النظام الدولي ثم العالمي.

وحين توالت وتراكمت جهودي العلمية الجماعية أو بحوثي العلمية المنفردة في مجال بناء منظور حضاري إسلامي للعلاقات الدولية أو في مجال القضايا الدولية[1] تأكد لي أن الذاكرة التاريخية الواهية أو المشوهه هي آفة خطيرة لا تقل عن خطورة آفات أخرى، تعاني منها شعوبنا العربية الإسلامية. ويتم توظيف هذه الذاكرة الواهية أو المشوهة لإحكام الاستبداد السياسي والتبعية الاقتصادية والاستلاب الحضاري.

ولا يصدُق هذا الوضع على المساحات الوطنية فقط ولكن يصدق أيضًا على مساحات العلاقات بين مكونات الأمة من الشعوب والحكومات وكذلك مساحات العلاقات مع بقيه «العالم».

(2)

ولهذا، لم يكن الكفاح النظري باستدعاء التاريخ الإسلامي، إلى جانب التواريخ الحضارية للآخرين في عملية التنظير الدولي الحضاري المقارن، هو الكفاح الوحيد المطلوب فلقد كان مطلوب أيضًا الاستدعاء المنظم للذاكرة التاريخية للحركات الوطنية، أو الصراعات أو تجارب التعاون أو...، فإن السياسة

(1) انظر ملامح هذه الخبرة بعد أكثر من عقد من نشر المشروع 1996 في:

- د.نادية محمود مصطفى: العلاقات الدولية في الإسلام: من خبرة جماعة علمية إلى معالم منظور حضاري جديد (مقدمة عدد خاص: العلاقات الدولية في الإسلام (1))، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/ 134)، 2009، ص ص 5 - 56.

ليست إلا التاريخ الراهن الذي لا ينفصل عن التاريخ «السابق». ومن ثم، فإن تعميق فهم الأوضاع الراهنة للعالم الإسلامي، في مجملها وفي تفاصيلها، يتطلب استدعاء خبرة التاريخ للتدبر في ماهية التحديات والمخاطر والتهديدات الراهنة وسبل الخروج منها.

إن تراثنا هو تاريخ الفكر والمؤسسات والرموز والتفاعلات، أي تاريخ تطبيق الشريعة ومن ثم تاريخ تطور العلاقة بين الأصل الثابت وبين المتغير فقهًا وممارسة. ومن ثم فإن العبرة من استدعاء التاريخ الإسلامي (للتنظير أو للتدبر) تتجاوز العبرة من استدعاء تواريخ حضارية أخرى لا تنطلق أو لا تقوم على مثل «ثابتنا» وأصلنا أي القرآن والسنة أو على مثل أصول المنهاجية الإسلامية.

فالتغيير المستمر بلا ميزان هو سمت أو صبغة دراستهم لتاريخهم أما صبغة تاريخنا فهو التغير وفق ميزان قربًا أو بعدًا عنه، رشادة أو ضلالاً، والميزان هو الأصل والثابت. ومن هنا أهمية الرؤية المقارنة بين مدارس تفسير التاريخ الإسلامية وغيرها من ناحية وكذلك أهمية الرؤية المقارنة عن وضع وأهمية ومنهاجية توظيف التاريخ في الدراسات الدولية المقارنة النظرية منها أو المعاصرة من ناحية أخرى.

إن التاريخ الإسلامي هو تاريخ حضارتنا وتاريخ تطور نظم الحكم الإسلامية وتطور العلاقات الدولية وتطور التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. إن التاريخ الإسلامي ليس تاريخ الأُسر والملوك والحلفاء فقط ولكنه تاريخ الأمة، إنه ليس التواريخ الجزئية القُطرية فقط (التي سادت وانتشرت في ظل تشرذم الخلافة وبعد سقوطها). ولكنه التاريخ الشامل للأمة الذي هو جزء حي من التاريخ العالمي. فالأخير ليس تاريخ المركزية الأوروبية المدّعية العالمية، كما أنه ليس تاريخ واحد للعالم ولكنه تاريخ كافة الدوائر الحضارية في تفاعلاتها الكبرى وخلال صعود أو هبوط كل منها.

إن التاريخ الإسلامي ليس تاريخ الحروب والمعاهدات فقط ولكنه أيضًا

تاريخ التفاعلات السلمية بين الشعوب والدول الإسلامية وغيرها من شعوب ودول العالم سواء في دورات القوة أو الصعود أو دورات الضعف والخبو.

إن التاريخ الإسلامي ليس تاريخ تطور هياكل توزيع القوة العالمية بين المسلمين وغيرهم فقط ولكنه تاريخ التفاعلات الحضارية في منظومة متكاملة من الهياكل والمؤسسات ومنظومات القيم والأفكار.

إن للتاريخ الإسلامي قراءات تختلف باختلاف المنظورات: الماركسية، القومية، الليبرالية، الإسلامية. ومن ثم تفسير التاريخ الإسلامي، سواء في مفاصل تطوره الكبرى، أو أحداثه الجزئية، ليس تفسير واحد ولكن متعدد الجوانب. ويتم توظيف كل تفسير توظيفًا سياسيًا في الصراعات السياسية الوطنية أو الإقليمية. ورغم ذلك يظل لدور التاريخ، في النظرية أو الحركة الدولية ضرورته وأهميته.

(3)

إن الكتاب يقدم نماذج من خبرة التفاعل مع جميع هذه الأبعاد. والتي تم تسجيلها عبر ما يقرب من ربع القرن في دراسات متنوعة تجمع بين الأبعاد النظرية والتطبيقية. وإلى جانب هذه الدراسات المنفردة توجد مجموعة من الجهود العلمية الجماعية التي تمثل تراكمًا رأسيًا أو أفقيًا على هذه الدراسات.

ومن ثم فإن القسم الأول من الكتاب تحت عنوان التاريخ الإسلامي ومصادر بناء منظور حضاري يضم أربع دراسات.

الدراسة الأولى: «التاريخ ودراسة االنظام الدولي: رؤى نظرية ومنهاجية مقارنة يتناول المنهاجية المقارنة لدراسة التاريخ وكيفية توظيفه من رؤى مقارنة في التنظير للعلاقات الدولية. كما تتناول كيفية الاقتراب من التاريخ الإسلامي اقترابًا نظميًا لتحليل المادة التاريخية على نحو يتجاوز التأريخ التقليدي. كما تقدم إطارًا مقترحًا للتحليل النظمي للتاريخ الإسلامي بغية اكتشاف أنماط تطور التفاعلات

النظمية الدولية الإسلامية، وكيفية توظيفها في بناء متظور حضاري إسلامي مقارن بالمنظورات الأخرى للعلم التي توظف -في جانب منها- تاريخ حضارتها الغربية.

وهذه الدراسة مأخوذة ومزيد عليها من الجزء السابع من مشروع العلاقات الدولية[1].

والدراستان الثانية والثالثة تقدمان قراءة في تاريخ العصرين المملوكي والعثماني من اقتراب نظمي[2]، يمثلان وغيرهما[3] ساحة لاختبار تطور قضيتين أساسيتين وقواعد وأسس تفسيره. وهما قضية الجهاد وقضية الوحدة. ولذا فإن الدراسة الرابعة تقدم نتائج التحليل النظمي للتاريخ الإسلامي وخاصة من حيث بيان «الأنماط التاريخية» للتفاعلات حول هاتين القضيتين والقواعد المفسرة لمسار تطور هذه الأنماط مقارنةً بمنظورات

(1) د.نادية محمود مصطفى: مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي، مرجع سابق.

(2) د.نادية مصطفى: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي حتى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (ص191 - 256)، والعصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية (ص257 - 369)، في: مجموعة مؤلفين، د.سمير سليمان (إشراف)، موسوعة تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، إيران، ط1، 2010.

وقد نشرت الدراستان مفصلتان في:

- د.نادية محمود مصطفى: العصر المملوكي، (في): د.نادية محمود مصطفى (إشراف): مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق.

- د.نادية محمود مصطفى، العصر العثماني، (في): د.نادية محمود مصطفى (إشراف): مرجع السابق.

(3) انظر أيضًا قراءة من اقتراب نظمي في العصرين الأموي والعباسي ومرحلة ما بعد الاستعمار على التوالي في:

- د.علا أبو زيد: الدولة الأموية.. دولة الفتوحات)41 - 132هـ 661 - 750م(من استئناف الدولة الأموية القوي والمؤثر لحركة فتوحات الراشدين إلى بلوغ المد الفتحي حدوده الطبيعية في المشرق والمغرب)في:(مرجع سابق.

- د.علا أبو زيد: الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح إلى السقوط (132 - 656هـ 750 - 1258م)، (في): المرجع السابق.

- د.ودودة بدران: وضع الدول الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة، (في): مرجع سابق.

أخرى في علم العلاقات الدولية تختلف من حيث توظيف التاريخ وكيفية تفسيره.

إن محتوى هذا القسم يمثل ذاكرة الأمة لفهم كيف وصلت أمتنا إلى ما هي عليه الآن. ومن ثم فيمثل محتوى هذا القسم البنية التحتية والخلفية التاريخية لكثير من القضايا الحديثة والمعاصرة للعالم الإسلامي[1]، والواجب تناولها من منظور حضاري إسلامي.

والقسم الثاني: تحت عنوان: في أنماط علاقات أركان الأمة الإسلامية الدولية

---

(1) انظر:

- سلسلة القضايا في حولية «أمتي في العالم» في أعدادها الإحدى عشر:
- الأول (1998م): ركّز على مسألة «الأمة والعولمة».
- الثاني (1999م): وركز على «العلاقات البينية داخل الأمة».
- العدد الخامس (2001 - 2002): وكان موضوعه «تداعيات الحادي عشر من سبتمبر على أمة الإسلام».
- العدد السادس (الصادر مايو 2005): وتناول قضية «الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية».
- العدد السابع (2007): وجاء حول قضية «الإصلاح فى الأمة بين الداخل والخارج».
- العدد الثامن (2008 - 2009): وموضوعه قضية «الأمة ومشروع النهوض الحضاري» .
- العدد التاسع (2009 - 2010): ويسلط الضوء على قضية غزة، وما تعرضت له من عدوان وحشي، وما تبعه من مواقف داخلية عربية ودولية.
- العدد العاشر (2010 - 2011): اهتم بدراسة الحالة الثقافية في العالم الإسلامي من مدخل سياسي، للتعرف على التأثير المتبادل بين السياسي والثقافي.
- العدد الحادي عشر (2011 - 2012): وعنوانه «الثورة المصرية والتغيير الحضاري والمجتمعي».
- ذلك إضافة إلى العددين الثالث والرابع (2000 - 2001): ومثلا عدد خاص تحت عنوان «الأمة في قرن». وجاء من ستة أجزاء كالتالي:
- الأمة في قرن: الماهية والمكانة والإمكانية.
- خبرة العقل المسلم: خبرات وتطورات وحوارات.
- الإسلام في عالم المسلمين: نماذج وحالات.
- أنماط الفواعل والتفاعلات في الداخل الإسلامي.
- الأقوام والأعراق والملل في عالم متداخل.
- تداعي التحديات والاستجابات والانتفاض نحو المستقبل.

يقدم ثلاث دراسات عن أنماط ونماذج من العلاقات الدولية لأركان الأمة التركية، العربية، الإيرانية في بعض مراحل التاريخ الإسلامي. مع التركيز على «التدخلات الخارجية في هذه العلاقات وكيف تمارس تأثيرها السلبي وخاصة في مراحل تهافت القوة وتنازع الأطماع القومية في عالم المسلمين.

والأمة ليست هي أركانها الكبرى فقط بالطبع ولكن تمتد إلى شعوب مسلمة في دوائر أخرى منها البلقان والقوقاز وآسيا الوسطى يتناولها القسم الثالث.

القسم الثالث: تحت عنوان: المسلمون المنسيون: الجذور التاريخية لصراعات ما بعد الحرب الباردة ذات الأبعاد الدينية والقومية.

ويتكون من أربع دراسات تتناول تداعيات انهيار الاتحاد السوفيتي والاتحاد اليوجسلافي على الحروب في آسيا الوسطى والقوقاز والبلقان وجميعها ذات جذور تاريخية يحتاج استدعائها إلى إطار للتحليل السياسي للتاريخ الإسلامي ومحددات تدخل القوى الاستعمارية لاقتسام الدولة العثمانية. ومن ثم فإن هذه الدراسات كانت تساعد في حين صدورها على علاج سقوط تاريخ هذه المناطق من الذاكرة المعاصرة، باعتبارها كانت أجزاء سابقة من ديار الإسلام آلت إلى مصائر متنوعة وقدمت نماذج مختلفة حول التفاعل بين المسلمين وغير المسلمين، وكيف أرتدت الصراعات السياسية وصراعات القوة والأيديولوجيا في هذه المناطق أردية علمانية حاول أصحابها أن يطمسوا كل علاقة بين الدين والثقافة والهوية وبين السياسة.

القسم الرابع: تحت عنوان: في تاريخ نماذج من قضايا مجتمعية ينقلنا من تجليات «القوى الصلدة» وخاصة القوة العسكرية في إدارة التفاعلات بين الدول والحكومات إلى تجليات أخرى للقوة، وخاصة التعارف والحوار، وعلى مستويات أخرى مجتمعية مثل المرأة، كما في الدراسة الأولى من هذا القسم، أو الشعوب المتفاعلة خلال الحرب أو السلم، كما في الدراسة الثانية أو الأبعاد الثقافية في تاريخ الاستعمار الأوروبي

وامتداداتها الراهنة لاستمرار النفوذ والتدخل ومنها على سبيل المثال مشروع الشراكة الأورومتوسطية. وقضايا المرأة والحوار والتعارف السلمي قضايا مجتمعية ثقافية لم تسلم من التسييس والتوظيف في صراعات سياسية داخلية وخارجية على حدٍ سواء.

وعلى هذا النحو، فإن دراسات الكتاب تقدم نماذج من الاقتراب النظمي الشامل من تاريخ الأمة وهو الاقتراب الشارح لنمط التفاعلات بين القوى الإسلامية وغيرها عبر مراحل من تطور التاريخ الإسلامي. إلا أن هذا الاقتراب لا يفترق عن اقتراب التفاعلات الحضارية التاريخية الشارح لمناط الأفكار والقيم والهوية من التفاعلات بين شعوب الأمة وغيرها من الشعوب. فإن تاريخ الفكر الدولي الإسلامي وتاريخ الحركة السياسية الدولية الإسلامية متكاملان. فلا يمكن الاكتفاء بالتواريخ السياسية الرسمية على حساب التواريخ الفكرية والثقافية والاجتماعية[1].

وإذا كان مشروع العلاقات الدولية في الإسلام -سعيًا نحو تأسيس منظور حضاري إسلامي مقارن في علم العلاقات الدولية، قد انطلق من مراجعة حالة العلم مراجعة نقدية معرفية ومنهاجية وانطولوجية، ومن ثم قام على تحديد مناط اسهام

(1) وحول تاريخ الفكر الإسلامي الدولي وموضعه من التنظير الدولي انظر:
- د.نادية محمود مصطفى: دراسة العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي: بين الإشكالات المنهجية وخريطة النماذج والمفاهيم الفكرية، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، دار السلام، 2013.
- د.نادية مصطفى: قراءات في فكر أعلام الأمة، د.سيف الدين عبد الفتاح (تقديم)، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية - دار البشير للثقافة، 2014.
- د.سيف الدين عبد الفتاح: تحديات الأمة في فكر أعلام معاصرين، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/ 134)، 2009.
أحمد نبيل صادق: العلاقات الدولية في فكر ابن خلدون، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/ 134)، 2009.
- د.سيف الدين عبد الفتاح، تراث العلاقات الدولية في الإسلام - نماذج وحالات من إشكاليات التعريف والتصنيف والتوصيف والتوظيف: دراسة نقدية في الحالة البحثية، بحث مقدم إلى ندوة تراث العرب (نشر بعض منه في أعمال الندوة)، انظر: د.فيصل الحفيان (محرر)، تراث العرب السياسي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة: جامعة الدول العربية، 2002.

منظور حضاري إسلامي في التراكم العلمي اللازم لاحداث «تحول في المنظور (Paradigm shift)1986 - 1996»، فإن حالة مراجعة العلم خلال العقدين المنصرمين (بعد نشر أعمال المشروع وخلال جهود بنائه واختبار تفعيله في دراسة قضايا الأمة والعام (1996 - 2014)[1]، قد أفصحت عن تزايد الاهتمام بالأبعاد القيمية والأبعاد الدينية - الثقافية الحضارية من ناحية، وتزايد تجسير الحدود بين

(1) انظر إصدارات قسم العلوم السياسية حول حالة علم السياسة خلال هذين العقدين وموضع الإسهام من منظور حضاري إسلامي في هذه المراجعة:

- د.حسن نافعة، د.سيف الدين عبد الفتاح (محرران): العولمة والعلوم السياسية (أعمال سمينار قسم العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2000.

- د.حسن نافعة، د.سيف الدين عبد الفتاح (محرران): العولمة: قضايا ومفاهيم (أعمال سمينار قسم العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2001.

- د.هبة رءوف عزت (محرر): العولمة: رؤى مقارنة (أعمال سمينار قسم العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2001.

- د.نادية محمود مصطفى (إشراف وتحرير): علم السياسة: مراجعات نظرية ومنهاجية، (أعمال سمينار قسم العلوم السايسية (4 - 5) 2001/ 2003)، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد، 2004.

- د.نادية مصطفى (إشراف علمي وتقديم)، أميرة أبو سمرة (مراجعة وتحرير): مداخل التحليل الثقافي لدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية: المنطلقات والمجالات والمفاهيم في العلوم الاجتماعية والسياسية (أعمال سمينار قسم العلوم السايسية 2008 - 2010)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، 2011.

- د.إكرام بدر الدين (تقديم)، د.نادية مصطفى (إشراف علمي)، د.أميمة عبود (تحرير): أعمال سمينار قسم العلوم السياسية للعام الجامعي 2010 - 2011 «المنظور البيني والعلاقات البينية في علم السياسة: إعادة نظر وقراءة جديدة، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2012.

- وانظر من الرسائل العلمية على سبيل المثال:

- شريف عبد الرحمن: نظرية النظم ودراسة التغير الدولي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2003.

- أحمد نبيل صادق: إسهام ابن خلدون في النظرية الدولية بين الفكر والحركة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. 2011.

علم السياسة والعلوم الاجتماعية الأخرى وخاصة التاريخ والاجتماع والفلسفة من ناحية أخرى. وبالطبع كان للتاريخ موضعه من هذا التطور «ما بعد الوضعي والسلوكي وما بعد الحداثي» سواء من منظور غربي نقدي. ومن أبرز التجليات منظور التحليل الحضاري[1] أو من منظور حضاري إسلامي[2] وعلى جانب آخر

(1) انظر على سبيل المثال: - أندرو لينكليتر، السوسيولوجيا التاريخية، (في): سكوت بورتشيل وآخرون (مؤلفون): نظريات العلاقات الدولية، ترجمة: محمد صفار، القاهرة: المركز القومي للترجمة، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (رقم 11)، 2014، ص207 – 240.

- Stephen Hobden, John M. Hobson, Historical Sociology of International Relations, Cambridge University Press, 2002.

- Gregorio Bettiza, Civilizational Analysis in International Relations: Mapping the Field and Advancing a 'Civilizational Politics: Line of Research, International Studies Review, (2014).

- A. Nuri Yurdusev, International Relations and the Philosophy of History... A Civilizational Approach, Basingstoke ; New York : Palgrave Macmillan, 2003.

(2) في التاريخ وصعود وسقوط الحضارات والأمم انظر على سبيل المثال المداخل المتنوعة التالية في مشروع إسلامية المعرفة:

– عبد الوهاب المسيري: فقه التحيز، (في) د.عبد الوهاب المسيري (محرر)، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998.

– مصطفى محمود منجود: الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

– السيد عمر: الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

– محمد هيشور: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

– عبد العليم عبد الرحمن خضر: المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط2، 1994.

– غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع: الشرق موجود بغيره لا بذاته، ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، 1996.

– أحمد محمد جاد عبد الرازق: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، (2ج)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1995.

يظل هذا الجهد النظري أساسًا ومنطلقًا لمعالجة القضايا الدولية المعاصرة على ضوء «الخبرة التاريخية» من اقتراب نظمي وبحثًا في «الأنماط التاريخية».

بعبارة أخرى، فإن أعمال هذا الكتاب النظرية والتطبيقية المنشورة (1994 – 2010) تحمل رسالتين: الرسالة الأولى: إن أعمال هذا الكتاب ليست الا اجتهادًا

- عبد الله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997.
- محمد الفاضل بن عاشور: روح الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط/ 2، 1993.
- أحمد العماري: نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجًا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997.
- ماجد عرسان الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1994.
- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت: الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، (رقم 2)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط/ 2، 1995.

وانظر أيضًا على سبيل المثال:

- طارق البشري: محمود محمد صقر (إشراف على التحرير)، منهج في الثقافة الإسلامية: نحو وعي إسلامي بالتحديات المعاصرة، محاضرات في مادة الثقافة الإسلامية بجامعة الخليج العربي (1405 – 1408، 1985 – 1988).
- د.عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، 2005.
- أحمد داوود أوغلو: العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية، تعريب وتحرير ومراجعة: إبراهيم البيومي غانم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006.
- إبراهيم البيومي غانم: الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، القاهرة، 1998.

انظر أيضًا الأبعاد التاريخية في الرسائل التالية على سبيل المثال:

- فوزي خليل: دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم،: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.
- فوزي خليل: مفهوم المصلحة العامة في التراث السياسي الإسلامي: دراسة تطبيقية على فترة الخلافة الراشدة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1998.
- أماني عبد الرحمن صالح: أزمة الشرعية في مؤسسة الخلافة الإسلامية:دراسة تحليلية لركائز وآليات الشرعية فى نظام الخلافة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٨.

تزامنت معه اجتهادات أخرى استكمالاً لهذا المجال البحثي. ويحتاج هذا المجال في حد ذاته وخاصة الجانب النظري دراسات مستقلة آمل أن تحظى باهتمام شباب الباحثين الجادين. حيث إن القضايا: علاقات أركان الأمة، الصراعات الإقليمية، التفاعلات السلمية وغيرها، تحظى باهتمام مستمر وخاصة حين تنطلق المدافع وتشتعل الأزمات. وهي اهتمامات لا تنفصل عن «المصالح الاستراتيجية المؤثرة وهي لا تعكس بالضرورة مصالح أصحاب الحقوق. قد شهدت بدورها عبر تطور تاريخها العديد من نماذج هذه الصراعات. وكانت جذورها القومية والمذهبية والدينية والعرقية موضع احتفاء كبير من جانب التدخلات الخارجية في أوقات ضعف وانحدار القوى الإسلامية، حيث تم توظيفها في سياسات إحكام الهيمنة والسيطرة من خلال إذكاء الفرقة والتجزئة.

فبعد أن كان التنوع القومي والعرقي والمذهبي والديني معلم من معالم التعددية التي اينعت في إطارها الحضارة العربية الإسلامية في مراحل إزدهارها وصعودها، اضحى هذا التنوع والتعدد عبأ ثقيلاً وجذورًا لصراعات في إطار اندار القوة ثم الاستعمار وما بعد الاستعمار والدول «القومية» الحديثة. ولقد فشلت هذه الدول في إدارة هذا التنوع وتوهمت «القضاء» عليه بسياسات الاستبداد والقهر والحكم الأحادي.

وهذه الدائرة العربية الإسلامية – وامتدادًا لتداعيات نهاية الحرب الباردة ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 عليها.

الرسالة الثانية: وهي أن نشر هذا الكتاب بمثابة تطبيق لمنهاجية «التراكم العلمي» وتنبيه إلى اهميتها. فهي منهاجية مفتقدة غالبًا في تقاليدنا البحثية والعملية. والمقصود بهذا الكتاب أو غيره إحياء هذا التقليد وتجديده وخاصة وأنه يصب في إحياء ذاكرة الأمة العلمية وتجديدها باعتبار ذلك جزء مندمج في إحياء قوة الأمة ونهضتها.

إن توثيق محطات المسار العلمي، على صعيد هذا المجال «التاريخ والعلاقات

الدولية» أو غيره[1]، ليس المقصد منه حفظ ذاكرة الجهد العلمي للمؤلف فقط بقدر ما أن القصد منه ـ أن نتذكر أن المدارس العلمية لا تنشأ إلا بالحفاظ على التراكم والانفتاح: إبداعًا، واستمرارية، وإضافة وتجديدًا وتفعيلاً. ومن ثم فلابد للمنتمين إلى مدرسة علمية أن يتوقفوا لحظة يلتقطوا الأنفاس ينظروا فيما قدموا وكيف كان التقديم وكيف كان النفع منه والتفاعل معه من جانب مدارس أخرى[2].

ولقد أعطت الثورات المضادة والانقلابات على ثوراتنا العربية الفرصة للمؤلفة لالتقاط جديد للانفاس. وخاصة لأن «المشروع الحضاري الإسلامي» هو الذي أضحى على المحك. ومن ثم فإن واجب الوقت هو المنافحة عنه فكرًا وحركة ولاحياء وتجديد ذاكرة الأمة. فإن ما يمر به من أزمة فكرية وأزمة سياسية ليس إلا حلقة من حلقات سابقة واجه فيها «المشروع الإسلامي» تحديات وتهديدات سواء من الداخل أو الخارج.

(4)

وأخيرًا، إذا كان هذا الكتاب قد اقترب من صراعات ذات جذور تاريخية دينية وقومية اشتعلت في بعض دوائر الأمة مثل آسيا الوسطى، القوقاز، البلقان بعد نهاية الحرب الباردة، فإن دائرتنا العربية الإسلامية تعيش الآن صراعات مشتعلة وممتدة بدأ الكشف عن جذوتها الكامنة مع اندلاع الثورات العربية 2011، ونفخ في نارها أعداء

(1) د.نادية مصطفى: قراءات في فكر أعلام الأمة، مرجع سابق.

(2) ولقد جرت محاولات على هذا الصعيد انظر على سبيل المثال:

- مدحت ماهر وماجدة إبراهيم (تحرير): مشروع تقويم إسلامية المعرفة بعد ربع قرن، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، (تحت الطبع).

- نحو بناء جماعة علمية وبحثية في العلوم السياسية من منظور حضاري، حلقة نقاشية نظمها مركز الحضارة للدراسات السياسية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، (4 – 5 أغسطس 2008).

عدد خاص عن العلاقات الدولية في الإسلام (1)، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/ 134)، 2009.

- عدد خاص عن العلاقات الدولية في الإسلام (2)، مجلة المسلم المعاصر، العدد (137/ 138)، 2010.

هذه الثورات وقوى الثورة المضادة والانقلابات على مطالب الشعوب. فإذا بالمنطقة -استهدافًا من أعدائها الخارجيين وحلفائهم في الداخل - تصبح في حالة «حرب على الإرهاب»، بعد أن كانت قد أعلنت الثورة ضد الاستبداد والديكتاتورية والتبعية»؛ حيث أصبحت القوى «الإسلامية السلمية» هي الفزاعة والذريعة لإجهاض مطالب الحرية والاستقلال، التي رفعتها هذه الثورات عند اندلاعها 2011.

إن ما يجري الآن على صعيد أوطاننا في مصر واليمن وسوريا والعراق ولبنان وليبيا بصفة خاصة -والدول العربية الأخرى ليست بمنأى عنه - لا يحسن فهمه واستشراف مآله إلا إذا تم تسكينه في مسار تطور تاريخ هذه المنطقة عبر القرنين الماضيين (مع بداية الهجمة الاستعمارية الأوروبية) ومع بداية القرن الواحد وعشرون (عودة الاستعمار التقليدي في شكل جديد). فإن تداعي القوى الخارجية بكافة أدوات التدخل والهيمنة، وخاصة التغريبية العلمانية، قد اقترن بانفكاك أواصر ما تبقى من وحدة الأمة وحتى إسقاط الخلافة وتقسيم ما بقي من أرجاء الأمة غير محتلا بين قوى الاستعمار التقليدي المنتصرة في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

فإن ما يجري الآن، تكريسًا للاستبداد والتبعية، هو إعادة تقسيم المجزأ، وفق الرؤية الصهيونية الإمبريالية، وكذلك توجيه ضربة -يحسبونها هذه المرة قاضية - للحركات الإسلامية السلمية الإصلاحية التي وضعوها في كفة واحدة مع «الراديكالية الإسلامية المسلحة» تحت مسمى «الإرهاب» وتلك الأخيرة بدورها ليست الا رد فعل على تطرف وعنف النظم المستبدة وأذرعها سواء العلمانية منها أو الدينية.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بالشكر لكافة الجهات التي سبق ونُشرت الدراسات في إصداراتها. حيث كان التعاون العلمي معها في حينه مصدر ثراء لخبراتي البحثية، كذلك أقدم خالص شكري وتقديري للأستاذ الدكتور عبد الحمد أبو سليمان، رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي وقيادات المعهد الداعمة

لمشروع المنظور الحضاري للعلوم الاجتماعية.

وأخيرًا، تقدير خاص للمستشار طارق البشري الذي تفضل مشكورًا بتقديم هذا الكتاب. ويشرفني أن أهدي إلى سيادته هذا الكتاب تقديرًا لرؤيته عن تاريخ أمتنا التي تعلمنا عليها.

والحمد لله،

القاهرة، نوفمبر 2014